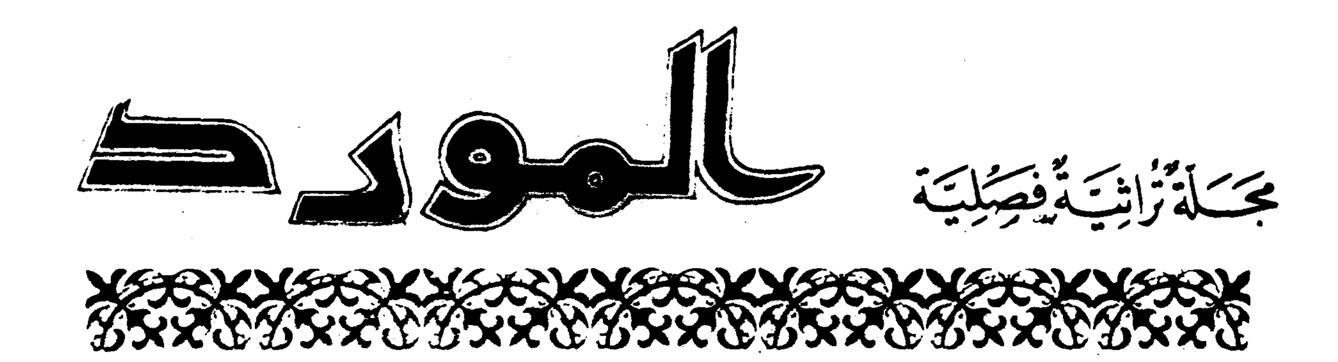

مجلة تراثية فصلية محكمة
المورد ٤
تصدر عن
دار الشؤون الثقافية العامة
- وزارة الثقافة والاعلام
الجمهورية العراقية
المجلد السابع عشر
العدد الرابع
١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م
عدد خاص
دراسات قرآنية



تصدرها وزارة الثقافة والاعلام ـ دار الشؤون الثقافية العامة ـ بغداد ـ الجمهورية العراقية
رئيس مجلس الادارة · الدكتور محسن جاسم الموسوي

المجلد السابع عشر
شتاء ١٩٨٨
العدد الرابع

رئيس التحرير : عبدالحميد العلوجي

سكرتيرة التحرير : هدى شوكة بهنام

تحفة الطالبين
في
اعراب قوله تعالى
« ان رحمة الله قريب من المحسنين »

تأليف

العلامة الشمس

محمد بن علي بن طولون الصالحي الدمشقي الحنفي

رحمه الله

٨٨٠ ـ ٩٥٣ هـ = ١٤٧٥ ـ ١٥٤٦ م

تحقيق وتعليق

د . زيان احمد الحاج ابراهيم

جامعة البحرين

بسم الله الرحمن الرحيم

ابن طولـــون

٨٨٠ ـ ٩٥٣ هـ = ١٤٧٥ ـ ١٥٤٦ م

هو أبو عبدالله محمد بن علي بن أحمد بن علي بن خمارويه بن طولون الدمشقي الصالحي الحنفي ، شمس الدين ؛ محدث ، نحوي ، مؤرخ ، عالم بالتراجم والفقه وغيرها من العلوم .

ولد بصالحية دمشق ، سمع وقرأ على جماعة من العلماء . منهم : القاضي ناصر الدين بن زريق ، والسراج بن الصيرفي ، والجمال بن المبرد ، وأبو الفتح المزي ، وعمه الجمال بن طولون . وأخذ عن السيوطي إجازة مكاتبة في جماعة من المصريين وآخرين من أهل الحجاز .

ولي تدريس الحنفية بمدرسة شيخ الاسلام ابي عمر ، وإمامة السليمية بالصالحية ، قصده الطلبة في النحو ، فكانت أوقاته معمورة بالتدريس والتأليف ، وكتب بخطه كثيراً من الكتب . علق ستين جزءاً سماها بالتعليقات ، كل جزء منها يشتمل على مؤلفات كثيرة ، أكثرها من جمعه ، وبعضها لغيره .

أخذ عنه جماعة وبرعوا في حياته كالشهاب الطيبي ، واسماعيل النابلسي مفتي الشافعية ، والزين بن سلطان مفتي الحنفية وغيرهم . مات بدمشق ولم يعقب ، ودفن في سفح قاسيون .

آثاره :

له كتب بعضها مطبوع ، وبعضها الآخر مخطوط ، فمن كتبه المطبوعة : إعلاء السائلين عن كتب سيد المرسلين ـ ضرب الحوطة على جميع الغوطة ـ القلائد الجوهرية في تاريخ الصالحية ـ قضا ة دمشق ـ الثغر البسام في ذكر من ولي قضاء الشام ـ اعلام الورى بمن ولي نائباً بدمشق الكبرى ـ مفاكهة الخلان في حوادث الزمان ـ الشذور الذهبية ـ العقود الدرية ـ الفلك المشحون في أحوال محمد بن طولون (ترجمة لنفسه) الشمعة المضية في أخبار القلعة الدمشقية ـ المعزة فيما قيل في المزة ـ اللمعات البرقية في النكت التاريخية .

أما الكتب المخطوطة فقد بلغت نحو سبعة عشر كتاباً ، ربما طبع بعضها ولم أقف على ذلك[1] .

مخطوطة تحفة الطالبين

يبدو ان هذا تعليق من جملة تعليقاته المشهورة التي أشرنا اليها ، فهو يقول : فهذا تعليق سميته تحفة الطالبين في إعراب قوله تعالى : « إن رحمة الله قريب من المحسنين » . ويغلب على الظن أنه أخذه من شيخه السيوطي لأن هذا التعليق في الأشباه والنظائر ٣ / ١٣٦ . هذا وقد رمزت للمخطوط بالرمز « أ » ، كما أنني قد رمزت الى التعليق في الأشباه والنظائر بالرمز « ش » .

والمخطوط من مصورات قسم التراث الكويتي عن مخطوطات مكتبة جستربتي في ايرلنده ، تحت الرقم (٣٨٤٧) ، وتسلسل (٦٥ ـ ٧١) ، والنسخة فريدة .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي من نحا نحوه وفقه للصواب ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وصحبه وسائر الأحباب .

[وبعد ، فهذا تعليق سميته تحفة[1] الطالبين في إعراب قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب من المحسنين)[2] ، وهو] :[3]

قال ابن الصائغ[4] في تذكرته : سئل العلامة مجد الدين الروذراوي[5] عن قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) ، فتكلم عليه ، فاعترض عليه ان مالك[6] ، فامتعض[7] الروذراوي لكلامه ، وطعن في كلام ابن مالك . وهذا تلخيص[8] كلامهما ، مع حذف مالاتعلق له بالمسألة من الطعن والازدراء .

قال الشيخ مجد الدين : استشكل[9] الأئمة تذكير[10] القريب مع تأنيث الرحمة ، وتخيل الأفاضل من قدمائهم في الجواب وجهين :

أحدهما : ان الرحمة بمعنى الإحسان[11] ، وهو مذكر .

الثاني : ان الرحمة مصدر ، والمصادر ـ كما لاتجمع ـ لاتؤنث[12] . هذان ذكرهما الجوهري والزمخشري في كتابيهما .

وقال الفراء[13] : القريب إذا كان للمكان وكان ظرفاً ، كان بلا هاء . وإذا ضمن معنى النسبة والقرابة ، دخلت الهاء[14] . تقول في الأول : كانت فلانة قريباً مني . وفي الثاني : فلانة قريبتي .

قال : وهذا كله تصرف في كلام الله تعالى بمجرد الظن . وهلا كانوا كالأصمعي[15] ، فإنه اعلم المتأخرين بكلام العرب ، وكان إذا سئل عن شيء من كلام الله تعالى سكت ، وقال : لو أنه غير كلام الله تعالى تكلمت فيه ، والقرآن إنما يفهم من تحقيق كلام العرب وتتبع أشعارهم ، فقد كان عكرمة[16] ـ وهو تلميذ ابن عباس ـ إذا سئل عن شيء من مشكل القرآن يفسره ويستدل عليه ببيت من شعر العرب ، ثم يقول : « الشعر ديوان العرب » .

والجواب الحق : أن القريب على وزن « فعيل » ، والفعيل والفعول يستوي فيهما المذكر والمؤنث حقيقياً كان او غير حقيقي ، قال امرؤ القيس :

برهرهةٌ رُؤدة[17] رخصةٌ
كخُرْعُوبةِ البانةِ المُنْفَطِرْ[18]
فتُورُ القيامِ ، قطيعُ الكلا
م ، تَفْتَرُّ عن ذي غروبٍ خَصِرْ

وقال في لفظ القريب :

له الويلُ إن أمسى ، ولا[19] أمُّ هاشمٍ
قريبٌ ، ولا البسباسةُ ابنةُ يَشْكُرا[20]

وقال جرير :

أتنفعك الحياةُ وأمُّ عمروٍ
قريبٌ لاتزورُ ، ولاتُزارُ[21]

وأغرب من ذا أن لفظة واحدة قد اجتمع فيها التأنيث الحقيقي وغير الحقيقي ، وهي لفظة : « هن » ، ذلك حمل عليها « فعيل » بلا هاء ، وهي في قول جميل :

كأن لم نحارب ، يابُثَينَ ، لو أنها
تكشف غمّاها ، وانتِ صديقُ[22]

وقال جرير[23] :

دعونَ النّوى ثم ارتمين قلوبنا
بأسهُم أعداءٍ وهُنَّ صديقُ[24]

فلو عرف القوم بعض هذه الاستشهادات لما وقعوا في ذلك .

وقال العلامة جمال الدين بن مالك : فعيل وفعول مشتبهان في الوزن والدلالة على المبالغة والوقوع ، بمعنى فاعل ، وبمعنى مفعول ، إلا أن « فعيلاً » أخف من « فعول » ، فلذلك فارقه بأشياء منها : كثرة[25] الاستغناء به عن « فاعل » في المضاعف كجليل ، وخفيف ، وصحيح ، وعزيز ، وذليل وانما حق هذه الصفات أن تكون على زنة / فاعل ، لأنها من فعل يفعل ، فاستغنىٰ فيها بفعيل ، ولاحظ لفعول في ذلك .

ومنها : اطراد بنائه من فعُل ، كشريف ، وظريف[26] ، وليس لفعول فعل يطرد بناؤه منه .

ومنها : كثرة مجيئه في صفات الله تعالى وأسمائه ، كسميع ، وبصير ، وعليّ ، وغنيّ ، ورقيب . ولم يجيء فيها فعول إلا : رءوف ، وودود ، وعفوّ، وغفور ، وشكور .

(واذا ثبت انه قياسي ، فلا يكون كفعول في الاستعمال)[٢٧] ، فلا يليق أن يكون له تبعاً ، (بل الأمر فيه الأولى أن يكون بالعكس)[٢٨] ، أو ينفرد كل منهما بحكم هو به أولى ، وهذا هو الواقع ، فإنهم خصوا فعولاً المفهم معنى « فاعل » بأن لاتلحقه التاء الفارقة بين المذكر والمؤنث ، وأن يشتركا فيه ، فيقال : رجل صبور ، وامرأة صبور ، وكذا شكور ، ونحوهما ، إلا ماشذّ من عدوّ ، وعدّه فإن قصد بالتاء المبالغة ، لحقت المذكر والمؤنث ، فقيل : رجل ملولة وفروقة[٢٩] ، ولايقدم على هذا الوزن الا بنقل ، وان لم يقصد بهذا الوزن معنى « فاعل » ، لحقته التاء أيضاً ، كحلوبة ، وركوبة ورعونة[٣٠] ، وليس في شيء من هذا الا النقل ، فلما كان لفعيل على فعول من المزية ماذكرته ، استحق أن يخص بأحوط الاستعمالين ، وهو التمييز بين المذكر والمؤنث ، كجميل وجميلة ، وصبيح وصبيحة ووضيء ووضيئة ، ونحوه .

وإن كان « فعيل » بمعنى « مفعول » وصحب الموصوف ، استوى فيه المذكر والمؤنث ، كرجل قتيل وامرأة قتيل ، وإن لم يصحب الموصوف وقصد تأنيثه أنث[٣١] ، نحو : رأيت قتيلة بني فلان .

هذا هو المعروف[٣٢] ، وماورد بخلاف ذلك عد نادراً ، أو تلطف في توجيهه بما يلحقه بالنظائر ويبعده عن الشذوذ ، فمن ذلك قوله تعالى : (إن رحمة الله قريب من المحسنين)[٣٣] ، وفيه ستة أقوال :

أحدها : ان فعيلا ، وان كان بمعنى فاعل ، فقد جرى مجرى فعيل الذي بمعنى مفعول ، في عدم لحاق التاء ، كما جرى هو مجراه في لحاق[٣٤] التاء حين قالوا : خصلة حميدة ، وفعلة ذميمة ، بمعنى محمودة ومذمومة ، فحمل على جميلة وقبيحة في لحاق التاء[٣٥] . وكذلك « قريب »[٣٦] في الآية الكريمة حمل على عين كحيل ، وكف خضيب وأشباههما ، من الخلو من التاء[٣٧] . ونظير ذلك : (قال من يحيي العظام وهي رميم)[٣٨] .

الثاني : أنه من باب تأول المؤنث بمذكر موافق في المعنى ، كقول الشاعر :

أرى رجلاً منهم أسيفاً كأنما
يضمُّ الى كشحيهِ كفاً مخضَّبا[٣٩]

فتأول « كفا » ، وهو مؤنث[٤٠] ، بعضو[٤١] ، فذكر صفته لذلك . وكذلك « الرحمة » متأولة[٤٢] بالاحسان[٤٣] فذكر خبرها ، وتأولها بالاحسان أولى من تأول الكف بالعضو لوجهين :

أحدهما : ان الرحمة[٤٤] معنى قائم بالراحم ، والإحسان بر الراحم[٤٥] المرحوم ، ومعنى البر في القرب أظهر منه في الرحمة .

الثاني : ان ملاحظة الإحسان في الرحمة بالقرب من المحسنين ، مقابلة للاحسان الذي تضمنه ذكر المحسنين ، فاعتبارها / يزيد المعنى قوة ، فصحت الأولوية . ومن تأول (٢ / أ) المؤنث بمذكر ماأنشده الفراء[٤٦] :

وقائع في مضرٍ تسْعَةٌ
وفي وائل كانت العاشِرَهْ[٤٧]

فتأول الوقائع بأيام الحرب ، فلذلك ذكّر العدد الجاري عليها ، فقال : تسعة . واذا جاز تأول المذكر بمؤنث في قول من قال : جاءته كتابي فاحتقرها[٤٨] ، أي : صحيفتي ، وفي قول الشاعر[٤٩] :

ياأيها الراكبُ المُزجي مَطِيَّتَهُ
سائل بني أسدٍ ، ماهذه الصَّوْتُ ؟[٥٠]

أي : الصيحة ، مع مافي ذلك من حمل أصل على فرع ، فلأن يجوز تأويل مؤنث بمذكر ، لكون حمل فرع على أصل ، أحق وأولى .

الثالث : ان يكون من حذف المضاف وإقامة المضاف اليه مقامه ، مع الالتفات الى المحذوف ، فكأنه قال : ان مكان رحمة الله قريب(٥١) ، كما قال حسان :

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البريص عليهمُ
بَرَدَى يصفِّقُ بالرَّحيقِ السلسلِ(٥٢)

ومثله قوله (ﷺ) مشيراً(٥٣) الى الذهب والحرير : (هذان حرام على ذكور أمتي)(٥٤) أي : استعمال هذين .

الرابع : أن يكون من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه(٥٥) ، أي : إن رحمة الله شيء قريب ، أو لطف ، أو بر ، أو إحسان ، وحذف الموصوف سائغ ، من ذلك قوله :

قامت تبكيه على قبره
من لي من بعدك ياعامرُ ؟
تركتني في الحربِ ذا غربةٍ
قد خاب من ليس له ناصرُ(٥٦)

أي : شخص ، او إنسان ذا غربة ، ومثله قول الآخر :

فلو أنك في يوم الرخاء سألتني
فراقك لم ابخل وانت صديق(٥٧)

أي : شخص صديق ، وعلى ذلك حمل سيبويه قولهم : حائض وطامث ، قال :(٥٨) : كأنهم قالوا(٥٩) : شيء حائض(٦٠) .

الخامس : أن يكون من باب اكتساب المضاف حكم المضاف إليه ، اذا كان صالحاً للحذف والاستغناء عنه بالباقي . والموجه في هذا تأنيث المذكر لإضافته الى مؤنث على الوجه المذكور ، كقوله(٦١) :

مَشَيْنَ كما اهتزَّتْ رِماح(٦٢) تسفَّهتْ
أعاليها مَرُّ الرّياحِ النّواسِمِ(٦٣)

ومثله :

بَغْيُ النُّفوسِ مُعيدةٌ نَغْماءها
نقماً ، وإنْ عَمِيَتْ وَطال غرورُها(٦٤)

واذا كانت الإضافة تعطى المضاف تأنيثاً لم يكن له(٦٥) على الوجه المذكور ، فلأن تعطيه تذكيراً لم يكن له ـ كما في الآية الكريمة ـ أحق وأولى ، لأن التذكير أصل ، فالرجوع إليه أسهل من الخروج عنه .

السادس : أن يكون من باب الاستغناء بأحد المذكورين ، لكون الآخر تبعاً له ، أو معنى من معانيه ، ومنه في أحد الوجوه قوله تعالى : ﴿ فَظَلَّتْ أعناقُهُمْ لها خاضِعِين ﴾[66] . أي : فظلت أعناقهم خاضعة وظلوا لها خاضعين[67] . فهذا منتهى ماحضرني .

وبلغني ان بعض الفقهاء زعم ان إخلاء « قريب من المحسنين » ـ المشار اليه ـ من التاء لم يكن الا لأجل أن « فعيلا » يجري مجرى « فعول » في الوقوع على المذكر والمؤنث بلفظ واحد . وضعف هذا القول بيّن ، وتزييفه هيّن ، وذلك أن قائل هذا القول إما أن يريد أن « فعيلا » في هذا الموضع وغيره يستحق مايستحقه « فعول » من الجري على المذكر والمؤنث بلفظ واحد . وإما أن يريد ان[68] فعيلا في هذا الموضع خاصة ، محمولة على « فعول » .

فالأول مردود / لاجماع أهل العربية على التزام التاء في ظريفة وشريفة وأشباههما ، (٢ /ش) ولذلك احتاج علماؤهم أن يقولوا في قوله تعالى : (ولم أك بغيا)[69] أن أصله « بغوى »[70] على « فعول » فلذلك لم تلحقه التاء .

والثاني أيضاً مردود ، لأنه قد تقدم التنبيه على ما « لفعيل » على « فعول» من المزايا ، ولأنه لايليق أن يكون تبعاً لفعول ، بل الأولى ان يكون أمرهما بالعكس ، ولأن ذلك القائل حمل[71] « فعيلا » على « فعول » ، وهما مختلفان لفظاً ومعنىً ، اما اللفظ فظاهر ، وأما المعنى فلأن « قريباً » لامبالغة فيه ، لأنه يوصف به كل ذي قرب[72] ، وإن قل ، وفعول المشار إليه لابد فيه من مبالغة . وأيضاً فإن الدال على المبالغة لابد ان يكون له بنية لامبالغة فيها ، ثم يقصد به المبالغة فتغير بنيته ، كضارب وضروب ، وعالم وعليم ، و« قريب » ليس كذلك ، فلا مبالغة فيه . والظاهر ان ذلك القائل إنما اراد حمل « فعيل » على « فعول » مطلقاً ، واستدل على ذلك بقول الشاعر :

فَتُورُ القِيامِ ، قَطيعُ الكَلا
مِ ، تَفْتَرُّ عَنْ ذي غُرُوبٍ خَصِرْ[73]

والاحتجاج بهذا ساقط من وجوه :

أحدها : أنه نادر ، والنادر لاحكم له ولو كثرت صوره ، وجاء على الأصل كاستحوذ ، وأعورّ ، واستنوق البعير ، فما ندر ولم تكثر صوره ولاجاء على الأصل أحق .

والثاني : أن يكون « قطيع الكلام » أصله : قطيعة الكلام ، ثم حذفت التاء للإضافة ، فانها مسوغة لحذفها عند الفراء[74] وغيره من العلماء ، وحمل على ذلك قوله تعالى : ﴿ وإقامِ الصَّلاةِ ﴾[75] ، ومثل ذلك قوله[76] :

إن الخَليطَ أَجَدُّوا البَيْنَ فَانْجَرَدُوا
وَأَخْلَفُوكَ عِدا الأَمْرِ الَّذي وَعَدُوا[77]

وعلى هذه اللغة قرأ بعض القراء (ولو أرادوا الخروج لأعدوا له عُدَّهُ)[78] ، أراد عدته .

الثالث : أن يكون « فعيل » في قوله « قطيع الكلام » بمعنى « مفعول » ، لأن صاحب المحكم حكى أنه يقال : قطعه وأقطعه ، إذا بكّته[79] ، وقطع هو وقطع فهو قطيع القول[80] ، فقطيع على هذا بمعنى مقطوع[81] ، أي : سكت ، فحذف التاء على هذا التوجيه ليس مخالفاً للقياس ، وإن جعل « قطيع مبنياً على قَطُعَ ، كسريع من سَرُعَ ، فحقه على ذلك أن تلحقه التاء عند جريه على المؤنث ، لأنه شبيه بفعيل الذي بمعنى مفعول ، فأجراه مجراه ، والله أعلم .

فأجاب الشيخ مجد الدين ، وقال : حق على من مارس شيئاً من العلم إذا سئل عن بعض مشكلاته ان يتجنب في جوابه الإيجاز المخل ، والتطويل الممل ، ويتوقى الزوائد التي لايحتاج اليها ، فإن العالم من إذا سئل عن عويص أوضحه بأوجز بيان من غير زيادة ولانقصان .

وقد سئل العبد الضعيف عبدالمجيد أبو الفرج الروذراوي عن هذه الآية ، بناء على استغراب من قصر في إتقان[82] كلام العرب باعه ، فاستبعد حمل المذكر على المؤنث .

فكان جوابه : أن القرآن المجيد عربي ، وإذا أطلق فصحاء العرب لفظ القريب على المؤنث الحقيقي ، فكيف لايسوغ إطلاقه على غير الحقيقي ؟ قال امرؤ القيس :

له[83] الويل إن أمسى . . البيت . وقال جرير : أتنفعك[84] الحياة . . البيت و / مع هذه الحجة الواضحة لاحاجة الى التأويلات والتعسفات .

٣ / أ

وقد كتب في ذلك بعض النحاة المشهورين العصريين هذه الأوراق المتقدمة ، وذكر فيها ماتقتضيه صناعة النحو ، وحكى ماقيل في المسألة ، مع أنه لايشفي الغليل ، لأن العرب لم تقل ذلك . ولانعلم لو عرض عليهم هل كانوا يرتضونه أم لا ؟ بخلاف ماأوردت من الشواهد ، فإنه نص قولهم ، ولاريب في صحته وكونه حجة ، والذي أورده من الأقوال الستة مستنبط من الظن والقياس ، وقد يكون حقاً[85] وقد لايكون .

وقد ألحّ عليّ جماعة في أن أورد على فوائده هذه مايتوجه عليها من الاعتراضات ، فكنت آبى ذلك خيفة سقطة تتفق ، حتى غلبوا على رأيي ، وقالوا : هذا لايعد قدحاً في فضله ، فشرعت في التنبيه على مايرد على قوله :

أما ماذكره من استثناء فعيل وفعول في الوزن والدلالة على المبالغة ، والوقوع بمعنى فاعل وبمعنى مفعول ، وأن فعيلاً أخف من فعول ، وانه فارقه[86] بأشياء :

منها : اطراد بنائه من « فعل » ، وكثرة مجيئه في اسماء الله تعالى ، واذا فارقه[87] لايكون تبعاً له ، وهل الأمر إلا[88] بالعكس أويستويان[89] ، الى آخره ، فكل هذه دعاو[90] تعسر إقامة الحجة عليها ، خصوصاً مع المنازعة ، ولئن سلمت فهي خارجة عن مسئلتنا ، لأن السؤال وقع عن جواز إطلاق القريب على الرحمة ، فجوابه ذلك جاز لدلالة[91] كذا وكذا عليه ، فبقية المقدمات ضائعة مبذولة لامدخل لها في ما وقع السؤال عنه ، ومثاله : من سئل عن زيارة الكعبة المعظمة هل تجب ام لا ؟ فأجاب : بأن المتوجه اليها لابد أن يكون محرماً ، وميقاته من جهة المدينة ذو الحليفة ، وعدد له المواقيت ، فيقول له السائل : أنا لم أسألك[92] إلا عن وجوب زيارتها ، وماذكرته بمعزل عن ذلك .

ويجري مجرى هذا قول المتكلم في فعول وفعيل[93] : أبواب المصادر ستة : فَعَلَ يَفْعِلُ كحلب يحلب ، وفَعَلَ يَفْعِلُ كضرب يضرب ، وفَعَلَ يَفْعَلُ كذهب يذهب ، وفَعِلَ يَفْعَلُ كقرم يقرم[94] ، وفَعُلَ يَفْعُلُ ككرم يكرم ، وفَعِلَ يَفْعِلُ كوثق يثق ، وكله مشتق[95] منه فعيل ، إلاّ أنّ أكثره من فَعُلَ يَفْعُلُ ، ويكون بمعنى فاعل كشريف وظريف وكريم وعظيم ، وقد يرد من غيره بمعنى المفعول كصريع وجريح وكليم وهذيم[96] .

ونتكلم في فعول بما يناسب ذلك أو يقاربه عند الشروع في مسئلتنا في لفظة « القريب » ، في أن هذه المباحث لامدخل لها فيها

نحن فيه ، وإن كانت من تفاريع لفظة « القريب » .

وقوله في « فعول » إن لم يقصد معنى « فاعل » لحقته التاء كحلوبة وركوبة ، منقوض بقولهم : ناقصة عصوب[٩٧] للتي تعصب ركبتاها عند الحلب ، ومسلوب وعجول للتي اخْتُرِمَ[٩٨] ولدها ، فان وزنه « فعول » وليس للفاعل ، ولاتلحقه التاء ، وكذلك[٩٩] الجزور[١٠٠] ، والحلوج[١٠١] ، والبسوس[١٠٢] ، والحصوف[١٠٣] ، والسطور[١٠٤] ، والثلوب[١٠٥] . وكل هذه صفات الناقة والشاة ، ووزنها « فعول » لم تلحقها التاء ، وليست للفاعل .

وأما الأقوال الستة التي ذكرها فإني أشير الى مايرد على كل واحد منها إشارة لطيفة .

أما قوله : قريب معنى فاعل ، أجرى مجرى فعيل بمعنى مفعول ، كما أجرى ذلك مجرى هذا في لحاق التاء ، فلاشك أنه من قول النحاة ، لكن ماالدليل عليه ؟ فإنه مجرد دعوى .

ويرد عليه أن أحد الفعلين مشتق من فعل لازم ، والآخر من فعلٍ متعد ، فلو أجرى على أحدهما حكم الآخر لبطل الفرق بين اللازم والمتعدي ، إن كان على وجه العموم ، وإن كان على وجه الخصوص فأين الدليل عليه ؟

والحق أن كلا من الفعلين يطلق على المذكر بلا تاء ، ولاخلاف فيه ، وعلى المؤنث تارة مع التاء ، وأخرى بلا تاء أصالة ، كما ورد في أشعار الفصحاء ، لاعلى سبيل التبعية ، ولاعلى وجه الشذوذ والندرة ، وتشبيه احدهما بالآخر كما زعموا ، لأنه الأصل في الكلام ، وقد كثر شواهد ذلك . قال جرير يرثى خالدة[١٠٦] :

نِعْمَ القَرِينُ ، وكُنْتِ عِلْقَ مَضِنَّةٍ
وارى بَنَعْفِ بُلَيَّةَ الأحْجارُ[١٠٧]

[وقال][١٠٨] : فَسُقاكِ حَيْثُ حَلَلْتِ غيرَ قعيدةٍ
هَزِجُ الرَّواحِ وديمةٌ لاتُقْلِعُ[١٠٩]

وقال الفرزدق :

فَدَاوَيْتُهُ عامَينِ ، وهْي قريبةٌ
أراها وَتَدْنُولي مِراراً فَأَرْشُفُ[١١٠]

وامرأة قبين ، وسريح ، وهريت ، وفروك ، وملوك ، ورشوف ، وأنوف ، ورصوف ، وامرأة ملولة ، وفروقة ، وامرأة عروب ، وسحابة دلوج[١١١] ، ولااستغراب في إطلاق « رميم » على العظام مع أنها جمع تكسير مؤنث ، فهو على وفاق كلام فصحاء العرب .

قال جرير مع فصاحته ولم ينكر عليه :

آلُ المُهَلَّبِ جَذَّ الله دابِرَهُمْ
أَمْسَوْا رَمِيماً فلا أصْلٌ ولاطَرَفُ[١١٢]

وأما الاعتراض على القول الثاني ، فهو أنا لانسلم تأويل المذكر بمؤنث يوافقه أو يلزمه ، ولو جاز ذلك لجاز أن يقال : رأيت زيداً فكلمتني واكرمتني ، ورأيت هذا فكلمني واكرمني بناء على أن « زيداً » نفس وجثة ، و « هذا » شخص وشبح .

وأما قوله : « كفاً مخضباً » ، فالكف قد يذكر كما في هذا الكف ، لفقدان علامات التأنيث وقد يؤنث كما في أكثر موارده ، وهذا أولى من التأويل ، كيلا تلزم المفسدة التي ذكرناها وحمل الرحمة على الإحسان بعيد[113] ، لأن اللفظ اذا دل على معنى ، فإما أن يدل عليه على وجه الحقيقة أو المجاز ، والقسمان منتفيان هنا ، لأن حضور المعنى بالبال لازم عند إطلاق اللفظ في كلا القسمين ، لجواز انفكاك كل واحد منهما عن الآخر ، لأن الرحمة قد توجد وافرة فيمن لايتمكن من الاحسان أصلاً كالوالدة الفقيرة بالنسبة إلى ولدها ، وقد يوجد الإحسان ممن لارحمة في طباعه كالملك القاسي ، فإنه قد يحسن الى بعض أعدائه لمصلحة نفسه أو ملكه ، ولاتلقىٰ عنده رحمة .

وإذا تبين جواز انفكاك كل عن الآخر ، فلا يجوز إطلاق أحدهما على الآخر ولاانفكاك بين الكف وبين كونها عضواً ، لأن كل كف عضو ، وان لم يكن كل عضو كفاً ، فبينهما / ملازمة الخاص والعام ، والملازمة مصححة للمجاز ، ولاملازمة بين الرحمة والإحسان كما بينا ، فيتعذر تأويل الرحمة بالاحسان ، وقد سلمنا ان معنى القرب في البر أظهر منه في الرحمة ، ولكن هذا لايوجب جواز إطلاق اسم احدهما على الآخر ، لأن جواز الإطلاق منحصر في الحقيقة والمجاز ، وكلاهما معدوم فيما نحن فيه .

قوله : ثالثاً : إنه من باب حذف المضاف ، فذلك إنما يصح حيث يحسن ويتعين ، كقوله تعالى : (واسأل القرية)[114] ، فانه يتعين إضمار أهلها ، وههنا لايصح إضمار المكان ولايحسن ولايتعين . أما أنه لايصح فلأن الرحمة[115] صفة الله تعالى ، والموصوف لامكان له ، لأن البراهين القاطعة دلت على أن ربنا لايحل مكاناً ، وإلا لكان جسماً أو مفتقراً إلى جسم ، فكذلك صفته لايكون لها مكان . انتهى .

قال الشيخ علاء الدين بن[116] التركماني : هذا غلط وغفلة ، لأن الرحمة من صفات الفعل ، لامن صفات الذات ، حتى يستحيل فيها المكان ـ انتهى رجع[117] .

وأما أنه لايحسن ولايتعين فلأنهما فرعا الصفة ، وبطلان الأصيل يقتضي بطلان الفرع . وأما الظواهر المشعرة بإثبات المكان كقوله : وارتفاع مكاني ، فيجب تأويلها جزماً وإلا لبطل حكم العقل ، ويلزم من بطلانه بطلان الشرع ، لأن صحته لم تثبت إلا بالعقل . نعم لو أضمر إثر رحمة الله لكان قريباً .

وأما قوله : رابعاً : إنه من باب حذف الموصوف الى آخره ، وماذكر عن سيبويه « طامث وحائض » ، فبالله أحلف ان هذا التقدير والتقرير لايرتضيه فصيح بدوي ولابليغ حضري . وأي حاجة الى أن يضمر في الآية شيء ، فيقال : شيء قريب . ولايكفي في تقدير مباني كلام الله وإيضاح معانيه مجرد الجواز النحوي والاحتمال[118] الاعرابي ، بل لابد من رعاية الفصاحة القصوى والبلاغة العليا . وأية فصاحة في أن يقول القائل : شيء قريب ؟ وأي لطف في أن يقال : المرأة شيء حائض ؟ مع أن الشيء أعم المعلومات ، ولذلك يشمل الواجب والممكن حتى بعض المعدومات عند بعض أهل العلم . ومن الذي يرضى لنفسه بمثل هذا الكلام المستهجن[119] ؟ وهلا قيل : الهاء والتاء إنما يحتاج اليهما للفرقان بين المذكر والمؤنث في صفة يمكن اشتراكهما فيها[120] إماطة للالتباس .

أما الصفة المختصة بالنساء كالحيض ، فلا حاجة فيها إلى العلامة المميزة ، والناس لفرط جمودهم على ماألفوه يظنون أن ماقاله سيبويه هو الحق الساطع ، وأن إلى قوله المنتهي[121] في معرفة كلام العرب ، ولاخفاء في أنه الجواد السابق في هذا المضمار ، فأما أنه يعتقد أنه أحاط بجميع كلام العرب ، وأنه لاحق إلا ماقاله فليس الأمر كذلك ، فما من أحد إلا ويقبل قوله ويرد منه ، ولو

لم يكن لسيبويه إلا قوله في باب الصفة المشبهة : مررت برجل حسن وجهه ، بإضافة « حسن » الى الوجه ، وإضافة الوجه إلى الضمير العائد على الرجل ، فقد خالفه جميع البصريين والكوفيين في ذلك[١٢٢] ، لأنه / قد أضاف الشيء الى نفسه ، فكيف يعتقد مع هذا صحة قوله في كل شيء ؟

وأما قوله : خامسا : يكتسب[١٢٣] المضاف حكم المضاف اليه لاسيما التأنيث ، فله نظائر صحيحة فصيحة يوثق بها لتقدم قائليها وشهرتهم . قال النابغة[١٢٤] :

حتى استقر بأهل الملح صاحبه
يركض قد قلمت عقد الأطابيب[١٢٥]

وقال الأعشى :

....
كما شرقت صدر القناة من الدم[١٢٦]

وقال لبيد :

فَمَضَى وَقَدَّمَها وكانَتْ عادَةً
منه إذا هي عَرَّدَتْ إقْدامُها[١٢٧]

وقال جرير :

لما أتى خَبَرُ الزُّبَيْرِ[١٢٨] تَواضَعَتْ
سُورُ المدينةِ والجبالُ الخُشَّعُ[١٢٩]

فبمثل هذا ينبغي ان يتمسك ، لابأشعار المجاهيل الخاملين التي تمسك بها ، وأظنها للمحدثين .

فأما اكتساب التأنيث من المؤنث[١٣٠] فقد صح بقولهم . وأما عكسه[١٣١] فيحتاج الى الشواهد ، ومن ادعى جوازه فعليه البيان .

وأما قوله : سادساً : إنه يكون من باب الاستغناء بأحد المذكورين عن الآخر ، الى آخره ، فإن قوله : (فظلت أعناقهم لها خاضعين)[١٣٢] ليس من هذا القبيل[١٣٣] ، لأن المراد بأعناقهم رؤساؤهم ومعظموهم ، وأيضاً فإن الخبر محكوم به على الاسم ، فكيف يعرض عنه ويحكم به على المضاف إليه ؟ ولو جاز ذلك لساغ أن تقول : كان صاحب الدرع سابغة ، فظل مالك الدار متسعة .

وقوله : رحمة الله قريب ، وهو قريب ، وحذف الخبر من الجملة الأولى ، والمبتدأ من الثانية ، واجتزأ بالخبر في الثانية عن الخبر في الأولى ، فكلام عجيب تقصر عبارتي عن شرح ضعفه وأما ماتمى الى من جرى فعيل مجرى فعول ، وقوله : أما أن يدعى ذلك على العموم في جميع الصور . . الى آخره ، فهذا لم أقصده ولاذكرت الأصالة والتبعية ، ولاأن هذا بمعنى فاعل وذاك بمعنى مفعول ، بل لما سئلت عن جرى « قريب » على الرحمة ، أجبت بأنه لاغرو ولااستبعاد ، لأن أفاضل العرب وفصحائهم قد أطلقوا الفعيل والفعول على المؤنث الحقيقي ، فعلى غير الحقيقي أولى ، ومن جملتهم امرؤ القيس[١٣٤] .

قوله : الاستدلال به ضعيف ، ليس كذلك ، لأن الفتور على وزن « فعول » ، وقد أطلق بعض فصحاء العرب في هذا البيت كليهما على امرأة ، والتأنيث فيهما حقيقي .

وقوله : إنه نادر ، قلنا : لانسلم ، بل نظائره كثيرة ، وهي محفوظة ، فطالبونا بها نوردها ، ولئن سلمنا أنه نادر فالغرض أنه عربي ، على أنا نقول : إن ساغ الاستشهاد بالنادر فلا وجه لإنكار ماذكرنا ، وان لم يسغ فكيف احتج بقوله :

وقائع في مضـــر تسعـــة[١٣٥]

وقوله : يجوز ان يراد بالقطيع القطيعة ، والإضافة اسقطت[١٣٦] التاء . قلنا : لو جاز ذلك لجاز أن يقال : ماتت ابن[١٣٧] فلان ، يريد ابنته .

وقوله : قد يجوز أن يكون « فعيل » بمعنى « مفعول » في « قطيع » . . الى آخره ، قلنا : ندعى جواز الإطلاق ، وهو اعم من أن يكون بمعنى فاعل أو مفعول ، وكذب / الخاص لا (٥ / أ) يوجب كذب العام ، فالوجهان الآخران اللذان ذكرهما آنفاً بتقدير صحتها لايقدحان في استدلالنا .

وقوله : إن كان « سَرُعَ » فإنما يحذف منه التاء تشبيهاً له بفعيل الذي في معنى مفعول ، مدخول ، لأن هذا مشتق من اللازم ، وذاك من المتعدي .

وقوله : « فيما كتب لأجل » ، صوابه أن يقال[١٣٨] : من أجل ، قال الله تعالى : (من أجل ذلك)[١٣٩] .

وقال الشاعر :

مـــن أجـــلك يـــاالـــتي تـــيـــمـــت قـــلـــبـــي[١٤٠]

وقال آخر :

عـــلـــيـــهـــم وقـــار الحـــلـــم مـــن أجـــل أنـــنـــي
بـــه أتـــغـــنى بـــاســـمـــهـــا[١٤١] غـــير مـــعـــجـــم[١٤٢]

وقوله : « إن قصد به المبالغة » ليس بصحيح ، لأن[١٤٣] « قصد » لايتعدى[١٤٤] بنفسه ، بل باللام والى ، قال جرير :

ان الـــقـــصـــائـــد ، يـــاأخـــيـــطلُ فـــاعـــتـــرفْ
قـــصَـــدَتْ إلـــيـــك مُجَـــرَّةَ الأنـــســـانْ[١٤٥]

وقال آخر :

وأوقـــدُ لـــلـــضـــيـــوف الـــنـــارُ حـــتى
أفـــوزَ بـــهـــمْ إذا قَـــصَـــدُوا لـــنـــاري[١٤٦]

ونقله « رغوثة »[١٤٧] غير موثوق به ، ولابد له من شاهد . قال الراعي النميري :

فـــجـــاءت الـــيـــنـــا والـــدُّجـــىٰ مُـــدْلِهَـــةً
رغـــوثُ شـــتـــاءٍ ، قـــد تَـــقَـــرَّبَ عـــودُهـــا[١٤٨]

وإذا وصلنا الى هنا فلنتمم الفائدة . فان الشيخ جمال الدين بن هشام ألف في هذه القضية رسالة ، فلنسقها .

قال رحمه الله : قال الله تعالى[149] : (إن رحمة الله قريب من المحسنين) . في هذه الآية الكريمة[150] سؤال مشهور ، الأدب في إيراده وإيراد أمثاله أن يقال : ما الحكمة في كذا ؟ تأدباً مع كتاب الله تعالىٰ . فيقال : ما الحكمة في تذكير قريب مع أنه صفة مخبر بها عن المؤنث ، وهو الرحمة ، مع أن الخبر الذي هذا شأنه يجب فيه التأنيث ؟

نقول : هند كريمة ظريفة ، ولايقال : كريم ، ولاظريف . وإنما بينت كيفية[151] السؤال ، لأنني وقفت على عبارة شنيعة لبعض المفسرين في تقدير[152] السؤال أنكرتها ـ اللهم ألهمنا الأدب مع كلامك ولاتردنا على أعقابنا بأهوائنا ـ وحسن السؤال نصف العلم .

وقد أجاب العلماء ـ رحمهم الله تعالى ـ[153] بأوجه جمعتها ، فوقفت منها على أربعة عشر وجهاً منها قوي وضعيف ، وكل مأخوذ من قوله ومتروك ، ونحن نسرد ذلك بحول الله وقوته متتبعين له بالتصحيح والإبطال ، بحسب مايظهره الله تعالى ، والله يقول الحق وهو يهدي السبيل .

الوجه الأول : أن « الرحمة » في تقدير الزيادة ، والعرب قد تزيد[154] المضاف . قال الله سبحانه : (سبح اسم ربك الأعلى[155]) ، أي : سبح ربك . ألا ترى أنه لايقال في التسبيح : سبحان اسم ربي ، إنما يقال : سبحان ربي ، والتقدير : إن الله قريب ، فالإخبار في الحقيقة إنما هو عن الاسم الأعظم ، (إن الله قريب من المحسنين)[156] .

قلت : وهذا لايصح عند علماء البصرة ، لأن الأسماء لاتزاد في رأيهم ، إنما تزاد الحروف ، وأما (سبح اسم ربك الأعلى) فلا يدل على ماقالوه ، لاحتمال أن يكون المعنى : نزه أسماءه عما لايليق بها[157] ، فلا تجر عليه اسماً لايليق بكماله ، أو : لاتجر عليه اسما غير مأذون فيه شرعاً ، وهذا هو أحد التفسيرين في الآية / الكريمة ، وإذا أمكن الحمل على محمل صحيح لازيادة فيه ، وجب الإذعان له ، لأن الأصل عدم الزيادة :

٥ / ب

الثاني : أن ذلك على حذف مضاف ، أي أن مكان رحمة الله قريب ، فالإخبار إنما هو عن المكان . ونظيره قوله (ﷺ) مشيراً الى الذهب والفضة : (ان هذين حرام)[158] فأخبر عن المثنى بالمفرد ، لأن حقيقة الكلام وأصله : ان استعمال هذين حرام ، وكذلك قول حسان ابن ثابت[159] :

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عَلَيْهِمُ
بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ[160]

أي : ماء بردى ، فلهذا قال[161] بالتذكير ، مع أن بردى مؤنث . انتهى .

وهذا المضاف الذي قدره في غاية البعد ، والأصل عدم الحذف ، والمعنى ـ مع ترك هذا ـ أحسن منه مع وجوده .

الثالث : أنه على حذف الموصوف ، أي : أن رحمة الله شيء قريب ، كما قال الشاعر :

قامَتْ تُبكّيهِ على قَبْرِهِ
مَنْ لِيَ مِنْ بَعْدِكَ ياعامِرُ ؟
تركتني في الدارِ ذا غُرْبَةٍ
قد ذلّ مَنْ ليس له ناصِرُ[162]

أي : تركتني في الدار شخصاً ذا غربة ، وعلى هذا[١٦٣] يخرج سيبويه قولهم : امرأة حائض ، أي : شخص ذو حيض . وقول الشاعر أيضاً :

فلو أنك في يوم الرخاء سألتني
طلاقك لم أبخل وأنتِ صديقُ[١٦٤]

أي : وأنت شخص صديق . وهذا القول في الضعف كالذي قبله . بل هو أشد منه ضعفاً ، لأن تذكير صفة المؤنث باعتبار إجرائها على موصوف مذكر محذوف شاذ ينزه كتاب الله عنه ، ثم الأصل عدم الحذف .

الرابع : أن العرب تعطي المضاف حكم المضاف إليه في التذكير والتأنيث إذا صح الاستغناء عنه . فمثال إعطائه حكمه في التأنيث قولهم : قطعت بعض أصابعه ، فأعطوا « البعض » حكم الجمع المضاف إليه في التأنيث . ومنه القراءة الشاذة : (تلتقطه بعض السيارة)[١٦٥] ومثال اعطائه حكمه في التذكير قوله :[١٦٦]

إنارة العقل مكسوف بطوع هـوى[١٦٧]

ومنه الآية الكريمة . انتهى .

وهذا الوجه قال فيه أبو علي الفارسي في تعاليقه على كتاب سيبويه مانصه : هذا التقدير والتأويل في القرآن بعيد فاسد ، إنما يجوز هذا في ضرورة الشعر .

الخامس : أن « فعيلاً » بمعنى « مفعول » يستوي فيه المذكر والمؤنث ، كرجل جريح وامرأة جريح ، نقل هذا الوجه أبو البقاء في إعرابه[١٦٨] ، وأقر قائله عليه ، وهو خطأ فاحش ، لأن فعيلاً هنا ليس بمعنى مفعول .

السادس : أن « فعيلا » بمعنى « فاعل » قد شبه بفعيل بمعنى مفعول ، فيمنع من التاء في المؤنث ، كما قد يشبهون فعيلاً بمعنى مفعول بفعيل بمعنى فاعل ، فيلحقونه التاء ، فالأول كقوله سبحانه : (قال من يحيي العظام وهي رميم)[١٦٩] . ومنه : (إن رحمة الله قريب من المحسنين)[١٧٠] . والثاني كقولهم : خصلة ذميمة وصفة حميدة ، حملاً على قولهم : قبيحة وجميلة .

السابع : أن العرب قد تخبر عن المضاف اليه وتترك المضاف كقوله تعالى / : ٦ / أ
(فظلت أعناقهم لها خاضعين)[١٧١] ، « فخاضعين » خبر عن الضمير المضاف اليه الأعناق ، لاعن الأعناق . ألا ترى أنك اذا قلت : الأعناق خاضعون ، لايجوز ، لأن جمع المذكر السالم إنما يكون من صفات العقلاء . لاتقول : أيد طويلون ، ولاكلاب نابحون . انتهى .

ولعل هذا القول يرجع الى القول بالزيادة ، وقد بينا ماعليه . وقد قيل : إن المراد بالأعناق في هذه الآية الكريمة الرؤساء . وقيل : الجماعة[١٧٢] . وقد يقال[١٧٣] : جاء زيد في عنق من الناس ، أي : في جماعة .

الثامن : الرحمة والرحم متقاربان لفظاً ، وهذا واضح معنى ، بدليل النقل على أئمة اللغة ، فأعطى أحدهما حكم الآخر ، وهذا القول ليس بشيء ، لأن الوعظ والموعظة تتقارب[١٧٤] أيضاً ، فينبغي ان يجيز هذا القول[١٧٥] أن يقال : موعظة نافع ، وعظة حسن . وكذلك الذكر والذكرى ، فينبغي ان يقال : ذكرى نافع ، كما يقال : ذكر نافع .

التاسع : أن « فعيلا » هنا بمعنى النسب ، فقريب هنا معناه : ذات قرب ، كما قال[١٧٦] الخليل في حائض إنه بمعنى ذات

حيض[177] ، وهذا أيضاً باطل ، لأن استعمال الصفات على معنى النسب مقصور على أوزان خاصة ، وهي : فعّال ، وفَعل ، وفاعل[178] .

العاشر : أن « فعيلا » مطلقاً يشترك فيه المذكر والمؤنث ، حكى ذلك ابن مالك عن بعض من عاصره[179] ، وهذا القول من أفسد ماقيل لأنه خلاف الواقع في كلام العرب . يقولون : امرأة ظريفة ، وامرأة عليمة ورحيمة ، ولايجوز التذكير في شيء من ذلك . ولهذا قال أبو عثمان المازني[180] في قوله تعالى : ﴿ وماكانت أمك بغيا ﴾[181] إنه « فعول » ، والأصل « بغوى » ثم قلبت الواو ياء والضمة كسرة ، وأدغمت الياء في الياء ، فأما قول الشاعر :

فَتُورُ القِيامِ ، قَطِيعُ الكلا
مِ ، تَفْتَرُّ عَنْ ذِي غُروبٍ خَصِرْ

فالجواب عنه من أوجه :

أحدها : أنه نادر .

الثاني : أن أصله « قطيعة » ، ثم حذفت التاء للإضافة ، كقوله سبحانه : ﴿ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ ﴾[183] ، وأصله : وأقام الصلاة ، والاضافة مجوزة لحذف التاء[184] ، كما توجب حذف النون والتنوين ، نص على ذلك غير واحد من القراء .

الثالث : أنه إنما جاز لمناسبة قوله « فتور » ، ألا ترى أن فتوراً فعول ، وفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث ؟

الحادي عشر : أنهم يقولون : فلانة قريب من كذا ، يفرقون بذلك بين قريب من معنى النسب ، وقريب من قرب المسافة ، فإذا قالوا : هي قريبة من فلان ، فمعناه قرب المسافة ، وإذا قالوا ، قريب ، فمعناه من القرابة .

وهذا القول عندي باطل ، لأنه مبني على أنه يقال في القرب النسبي : فلان قريبي ، وقد نص الناس على أن ذلك خطأ ، وأن الصواب أن يقال : فلان ذو قرابتي ، كما يقال :

يَبْكِي الغَرِيبُ عَلَيْهِ لَيْسَ يَعْرِفُهُ
وَذُو قَرابَتِهِ فِي الحَيِّ مَسْرُورُ[185]

الثاني عشر : أن هذا من تأويل المؤنث بمذكر موافق في المعنى . واختلف هؤلاء ، فمنهم من يقدر : أن إحسان الله قريب ، ومنهم من يقدر : لطف الله قريب . ومن مجيء ذلك في العربية قول الشاعر :

أرى رَجُلاً منهم أسيفاً كأنما
يَضُمُّ الى كَشْحَيْهِ كَفّاً مُخَضَّبا[186]

فأوّل الكف على معنى العضو ، وهذا الوجه باطل ، لأنه إنما يقع هذا في الشعر . وقد قدمنا أنه لايقال : موعظة حسن ، إنما يقال كما قال سبحانه : ﴿ الموعظة الحسنة ﴾[187] ، هذا مع أن الموعظة بمنزلة الوعظ في المعنى ، وهذا يقاربه في اللفظ . وأما البيت الذي أنشدته فنص النحاة على أنه ضرورة شعر ، وماهذه سبيله لايخرج عليه كتاب الله تعالى[188] .

الثالث عشر : أن المراد بالرحمة هنا المطر[189] ، والمطر مذكر ، وهذا القول يؤيده عندي مايتلوه من قوله سبحانه : ﴿ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْراً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ ﴾[190] ، وهذه الرحمة هي المطر ، فهذا تأنيث معنوي ، إلا أنه قد يعترض عليه من أوجه :

أحدهما : أن يقال : لو كانت الرحمة الثانية هي الرحمة الأولى ، لم تذكر ظاهرة ، لأن هذا موضع الضمير ، فان قيل : إن ذلك ليس بواجب ؛ قلت : نعم ، ولكنه مقتضى الظاهر ، وبهذا يصح التوجيه .

الثاني : إن أمكن الحمل على العام ـ وهو مطلق الرحمة ـ لايعدل ألى الخاص . لايقال : هذا إذا لم يعارض معارض يقتضي الحمل على الخاص كالتذكير ، لأنا نقول : هذا إنما يقال إذا لم يكن للتذكير وجه إلا الحمل على ارادة المطر ، كما ذكرت ، وليس الأمر هنا كذلك .

الثالث : أن الرحمة التي هي المطر لاتختص بالمحسنين ؛ لأن الله تعالى تكفل برزق العباد طائعهم وعاصيهم . وأما الرحمة التي هي الغفران والتجاوز ، فإنها تختص في خطاب الشارع بالمحسنين المطيعين ، وان كانت غير مرقوفة عليهم لاشرعاً ولاعقلاً عند أهل الحق ، إلا أن ذلك يذكر على سبيل التنشيط للمطيعين والتخويف للعاصين[١٩١] ، وهذا فيه لطف ، وقلما يتنبه له الا الأفراد[١٩٢] ، ومن ثم زلت أقدام المعتزلة ، فإنهم يجدون في خطاب الشرع مايقتضي تخصيص الغفران والتجاوز والإحسان بالمطيعين ، فينفون رحمة الله عن أصحاب العصيان فيحجرون واسعاً : ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ ﴾[١٩٣] ، ﴿ والله يختصُّ بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾[١٩٤] ، يفعل مايشاء ويحكم مايريد ، هذا الذي فطرنا الله عليه من حسن الاعتقاد ، وإياه نسأل التوفيق عليه بمنه وكرمه .

وهذا الوجه يمكن الجواب عنه ، بأنه كما جاز تخصيص الخطاب بالغفران بالمحسنين على سبيل الترغيب ، كذلك يجوز تخصيص المطر الذي هو سبب الأرزاق بهم ترغيباً في الإحسان .

الرابع : أنك لو قلت : إن مطر الله قريب لوجدت هذه الإضافة تمجها الأسماع ، وتنبو عنها الطباع ، بخلاف « إن رحمة الله » ، فدل على أنه ليس بمنزلته في المعنى . وهذا الوجه يمكن الجواب عنه بأمرين :

أحدهما : أن يقال : لاندعى أن الرحمة بمعنى المطر ، بل إن مجموع رحمة الله استعمل مراداً به المطر .

والثاني : ان المطر معلوم أنه من جهة الله سبحانه ، فإضافته إليها كأنها غير مفيدة ، بخلاف قولك : رحمة الله ، فإن الرحمة عامة ، فان للعباد رحمة خلقها الله سبحانه يتراحمون بها بينهم ، فإذا أضيفت الرحمة[١٩٥] إليه ـ سبحانه ـ أفاد أنه ليس المقصود الرحمة المضافة إلى العباد .

ونظيره أنك تقول : كلام الله ، لأن الكلام عام ، ولاتقول قرآن الله ، لأنه خاص بكلام الله سبحانه .

والإنصاف ان يقال في هذا القول : إنه لايخلو أمر قائله من أمرين : وذلك لأنه إما أن يدعى أن الرحمة لفظ مشترك بين المطر وغيره ، وأنه موضوع بالأصالة للمطر ، كما أنه موضوع لغيره بالأصالة ، أو يدعى أنه موضوع لغيره بالأصالة ، أو يدعى أنه موضوع لغير المطر بطريق الأصالة ، ثم تجوز به عن الرحمة ، فإن ادعى الأول فقد يمنع ذلك[١٩٦] بأن الذهن إنما يتبادر عند إطلاق الرحمة الى غير المطر ، والمشترك إنما حقه أن يكون على الاحتمال بالنسبة الى معنييه أو معانيه ، لايكون أحدهما أولى من غيره ، وإنما يتعين المراد بالقرينة ، ثم إنا لانجد أهل اللغة حيث يتكلمون على الرحمة ، يقولون : ومن معانيها المطر ، فلو كانت موضوعة له لذكروها كما يذكرون معاني المشترك ، وان ادعى الثانية فيلزمه أن يجيز في فصيح الكلام : أرض مخضر ، وسماء مرتفع ، ورحمة واسع ، ويقول : أردت بالأرض المكان ، وبالسماء السقف ، وبالرحمة الإحسان ، وهذا مالايقول به أحد من النحويين ، وإنما يقع ذلك في الشعر أو في نادر من الكلام ، وماهذه سبيله لايخرج عليها كتاب الله تعالى الذي نزل بأفصح اللغات ، وأرجح العبارات ، وألطف الإشارات .

فإن قلت : فإني أجد في كثير من كتب المفسرين[197] تخريج آيات من التنزيل على مثل ذلك ، كما قالوا في قوله سبحانه : (وإذا حضر القسمة)[198] ، ثم قال تعالى : (فارزقوهم منه)[199] أنه جاز حملاً على معنى القسمة[200] ، وهو المقسوم .

قلت : الذي عليه أهل التحقيق أن الضمير عائد على « ما » من قوله تعالى : (مما ترك الوالدان)[201] على أن القسم والقسمة واقعان في العربية على المقسوم وقوعاً كثيراً ، فلا يمتنع عود الضمير على القسمة مذكراً ، يدلك على ذلك قوله سبحانه : (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم)[202] ، أي : مقسوم بينهم .

واعلم انه لابعد في أن يقال : إن التذكير في قوله سبحانه « قريب » لمجموع أمور من الأمور التي قدمناها .

فنقول : لما كان المضاف يكتسب من المضاف اليه التذكير ، وهي مقاربة للرحم في اللفظ ، وكانت الرحمة هنا بمعنى المطر ، وكانت « قريب » على صيغة « فعيل » ، و « فعيل » الذي بمعنى « فاعل » قد يحمل على « فعيل » الذي بمعنى « مفعول » ، جاز التذكير ، وليس هذا نقضاً لما قدمناه ، لأنه لايلزم من انتفاء اعتبار شيء من هذه الأمور مستقلاً انتفاء اعتباره مع غيره .

هذا آخر ماتحرر لي في هذه الآية الكريمة ، والله تعالى أعلم بغيبه . انتهى كلام ابن هشام .

تعليـــق

١ ـ إن مادار بين الروفراوي وابن مالك في مسألة « إن رحمة الله قريب من المحسنين » يعتبر نوعاً من استعراض القدرات النحوية واللغوية التي غنِيَ بها النحو العربي خاصة ، والدراسات اللغوية عامة .

٢ ـ اعتمد الروفراوي في تفسيره للمسألة على الدليل اللغوي ، والقياس على ماورد عن فصحاء العرب مثل امرىء القيس وجرير وغيرهما ، كما أنه التزم هذه الطريقة في رده على ابن مالك وفي تفنيد أدلته ، فهو يسلم له بداية أن ماذكره هو من كلام النحاة وأقيستهم ، ولكن يطالبه بالدليل اللغوي الفصيح ، ومع ذلك فحينما لانجد بدأ من الردود المنطقية والكلامية ، فانه يسره ذلك في أسلوب سهل متناوَل ، لاغموض فيه ولا التواء .

(انظر الردين الثاني والثالث مثلاً) .

٣ ـ أما ابن مالك فقد كان رائده في تفنيد كلام الروفراوي والرد عليه الأدلة المنطقية ، والأقيسة النحوية ، ولايدخر وسعاً في تعضيد مايسوقه من أدلة من شعر العرب حتى ولو كان الشعر غير معروف .

٤ ـ وأما ابن هشام فقد ساق آراء المتقدمين في هذه المسألة ، مصدراً لها بسؤال مهذب يليق بجلال الله سبحانه وتعالى ، والوقوف موقف المتأدب مع كلامه سبحانه .

وقد حصر هذه الآراء في أربعة عشر وجهاً ، ثم تتبعها بالتفنيد والنقد والتصحيح والإبطال حسب وجهة نظره ، فبرّز في ذلك وبلغ الغاية ، واستقصى المسألة من وجوهها كلها ولم يدع من الكلام مزيداً لمستزيد .

ويلاحظ عليه أنه لم يعالج من الآراء التي وقف عليها سوى ثلاثة عشر وجهاً ، ولم يذكر لنا الرابع عشر .

الهوامـــش

١ ـ انظر ترجمته وأسماء كتبه في : الفلك المشحون (ترجمة لنفسه بقلمه ، وفيه أسماء مصنفاته مرتبة على الحروف) ـ شذرات الذهب ٨ / ٢٩٨ ـ الأعلام ٦ / ٢٩١ ـ معجم المؤلفين ١١ / ٥١ .

١ ـ التحفة : الطرفة من الفاكهة وغيرها من الرياحين ، ومااتحفت به الرجل من البر واللطف ، لسان العرب (تحف) .

٢ ـ الأعراف ٥٦ .

٣ ـ مابين المعقوفين ليس في شيء .

٤ ـ هو محمد بن عبدالرحمن بن علي ، شمس الدين الحنفي ، أديب ، من العلماء ، مصري ، ولي قضاء العسكر وإفتاء دار العدل ، درس بالجامع الطولوني . من كتبه « التذكرة » في النحو في عدة مجلدات ، و « المبادرة

في المعاني » و « الغمز على الكنز » ، و « الثمر الجني » وغيرها . توفي ٧٧٦ هـ - معجم الأعلام ٦ / ١٩٢ .
٥ - هو عبدالمجيد أبو الفرج الروفراوي . لم أعثر على ترجمة له .
٦ - هو أبو عبدالله محمد جمال الدين ، ولد بالأندلس ثم استوطن الشام ، له الكافية الشافية ، والألفية المشهورة نظماً ، وتسهيل الفوائد وتكميل المقاصد نثراً . توفي سنة ٦٧٢ هـ .
٧ - امتعض : شق عليه وعظم - اللسان (معض) .
٨ - س : ملخص .
٩ - استشكل الأمر : التبس .
١٠ - في الأصل : ذكر .
١١ - انظر الصحاح في اللغة والعلوم ٢ / ٨ (قرب) . . الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢٢٧ ونسبه الى الجوهري .
١٢ - الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢٣٧ المسائل السفرية لابن هشام مسألة ٣٧ص/٧٧ .
١٣ - هو أبو زكريا يحيى بن زياد ، لقب بالفراء لأنه كان يفرى الكلام (يجيده) ويأتي بعجيبه) ، قيل فيه : الفراء أمير المؤمنين في النحو . ألف كتاب الحدود للمأمون . كان عالماً بأيام العرب وأخبارها وأشعارها ، والطب والفلسفة والنجوم . توفي سنة ٢٠٧ هـ . انباه الرواة ١ / ١٧ - وفيات الأعيان ٢ / ٢٢٨ .
١٤ - في حاشية الصبان على شرح الأشموني ٢ / ٢٤٩ : « ذكر الفراء أنهم التزموا التذكير في « قريب » إذا لم يرد قرب النسب قصداً للفرق . انظر اللسان (قرب) - الجامع لأحكام القرآن ٧ / ٢٢٨ .
١٥ - هو أبو سعيد عبدالملك بن قريب بن عبدالملك بن أصمع (صغير الأذن) . صاحب اللغة والنحو الغريب والملح . ت ١٦ .
١٦ - هو أبو عبدالله عكرمة بن عبدالله المدني ، مولى عبدالله بن عباس ، من كبار التابعين ، ومن أعلم الناس بالتفسير والمغازي . أصله من أمازيغ - أي : بربر المغرب - كان كثير الطواف ، روى عنه أكثر من (٣٠٠) رجل . مات هو وكثير عزة الشاعر في يوم واحد سنة خمس ومائة . انظر شذرات الذهب ١ / ١٣٠ .
١٧ - في س : روقة .
١٨ - بيتان من البحر المتقارب في ديوانه ١٥٧ - برهرهة : رقيقة الجلد ملساء . الرؤدة : الناعمة او الشابه . الرخصة : اللينة . الخرعوبة : القضيب الغصن اللدن . البانة : شجرة البان . المتفطر : المتشقق بالورق . فتور القيام : بطيئة . قطيع الكلام : قليلة . تفتر : تبتسم . عن ذي غروب : أي عن ثغر ذي غروب . والغروب : حدة الأسنان وماؤها . حصر : بارد .
١٩ - في الأصل : لا .
٢٠ - بيت من الطويل في ديوانه ٦٨ - لسان العرب (قرب) . المعنى : لنفسه الويل إن أمسى وقد بعدت عنه أم هاشم والبسباسة ابنة يشكر ، لما يلقى من الوجد بهما الاشتياق لهما . وألف الإطلاق ساقطة من الأصل .
٢١ - بيت من الوافر . انظر ديوانه ١٨٢ .
٢٢ - في الديوان ٧٥ « لو أنه » ، وهو من البحر الطويل . وهو على تأويل إنسان صديق . أو شبه فعيلا بمعنى فاعل ، بفعيل بمعنى مفعول . وفي اللسان (صدق) : « والأنثى صديق أيضاً » . ثم أنشد البيت .
٢٣ - ونسب أيضاً إلى مزاحم العقيلي .
٢٤ - انظر ديوان جرير ١ /٣٩٨ - وهو من الطويل . في الأصل وفي ش : دعوت القوى - وماأثبته أصور لأن الكلام عن الأوانس في البيت السابق - الخصائص ٢ /٤١٢ - اللسان (صدق) : « وقد يقال للواحد والجمع والمؤنث صديق » .
٢٥ - س : كثر .
٢٦ - س : طرف .
٢٧ - ش : واذا ثبت أنه فائق لفعول في الاستعمال . . .
٢٨ - العبارة من ش . وفي الأصل : « بل الأولى أن يكون الأمر بالعكس » .
٢٩ - ملولة : السريع الملل ، أي : السأم ، فروقة : شديد الفزع .
٣٠ - الكثيرة الحركة أو الحمقاء الطائشة - اللسان (رعن) .
٣١ - ليست في ش .
٣٢ - انظر المفصل للزمخشري ٢٠٠ .
٣٣ - الأعراف / ٥٦ .
٣٤ ، ٣٥ - ش : إلحاق .
٣٦ - ش : من .
٣٧ - شرح الألفية لابن الناظم ص / ٤٤٣ .
٣٨ - يس / ٧٨ .
٣٩ - بيت من الطويل للأعشى ميمون بن قيس . وهو في ديوانه / ١٦٥ « منكم » . انظره في الانصاف ٧٧٦ - الكامل للمبرد ١ /١٦ - اللسان (خضب) : أرى رجلاً منكم . الأسيف : من التأسف لقطع يده . وقيل : بل هو أسير قد كبلت يده . ويقال : قد جرحها الغُل . والقول الأول هو المجمع عليه - الكامل - الكشح : من الخاصرة إلى الضلع الخلف . والكف : اليد .
٤٠ - بدليل قول بشر بن أبي خازم :

له كفان : كف كف ضر وكف فواضل خضل نداها

فأعاد الضمير عليها في قوله « نداها » مؤنثاً .
٤١ - قيل : إنه أراد الساعد فذكر ، وقيل : يجوز أن يكون « مخضب » صفة لرجل ، أو حالاً من المضمر في « يضم » ، أو من المخفوض في كشحيه . انظر اللسان (خضب ، كفف) .
٤٢ - ش : متأول .

٤٣ ـ الجامع لأحكام القرآن ٧/٢٢٧ ـ تفسير المنار ٨/٤٦٤ .
٤٤ ـ ش : الوجه . ٤٥ ـ ش : الرحم .
٤٦ ـ سبقت ترجمته .
٤٧ ـ بيت من المتقارب ، وقد نسبه المصنف إلى الفراء ، ولم أعثر على أصل هذه النسبة . الوقائع : جمع وقيعة ، وهي المعركة ، ومثلها الموقعة والوقعة والواقعة . وتطلق العرب على الموقعة « اليوم » فيقولون : أيام العرب ، ويريدون مواقعها ، فلذلك أنث اسم العدد ، لأنه أراد بالوقائع الأيام ، والأيام مذكرة . انظر البيت في الانصاف ٧٦٩ .
٤٨ ـ الخصائص ١/٢٤٩ ، ٢/٤١٦ .
٤٩ ـ هو رويشد بن كثير الطائي .
٥٠ ـ من البسيط . المزجي : السائق . اشار الشاعر الى المفرد المذكر (الصوت) بما يشار به الى المفردة المؤنثة (هذه) على تأويل معنى : الصيحة ، او الجلبة ، او الضوضاء ، او الاستغاثة . الخصائص ٢/٤١٦ ـ الانصاف ٧٧٣ ـ شرح المفصل لابن يعيش ٥/٩٥ ـ اللسان (صوت) .
٥١ ـ انظر شرح ابن عقيل بحث المفعول فيه ص / ٢٠٠ ، في شرحه لقول ابن مالك :

وقد ينوب عن مكان مصدر ... وذاك في ظرف الزمان يكثر

فنابت الرحمة ـ وهي مصدر ـ عن ظرف المكان ، وهو قليل .
٥٢ ـ بيت من البسيط يمدح به الشاعر آل جفنة ملوك الشام . البريص : موضع بأرض دمشق . والباء في قوله « بالرحيق » للمصاحبة ، أي : ممزوجاً بالخمر الصافية . التصفيق : التحويل من إناء الى إناء ليتصفى ، أي من صفق إلى صفق ، وهو الناصية ، الرحيق : الخمر . السلسل : السهل الانحدار السائغ الشرب . الشاهد فيه : إقامة المضاف إليه مقام المضاف في التذكير لأن الشاعر أراد ماء بردى ، ولو لم يقم المضاف اليه مقام المضاف في التذكير لوجب أن يقال : تصفق ـ بالتاء ـ لأن ردى من صيغ التأنيث ، وهو نهر دمشق . وروى : كأسا تصفق . وعلى هذه الرواية فلا شاهد فيه .
شرح المفصل ٣ / ٢٥ ، ٦ / ١٣٣ .
٥٣ ـ ش : مشير .
٥٤ ـ رياض الصالحين ـ باب تحريم لباس الحرير على الرجال / ٢٣ وفيه « إن هذين حرام على ذكور أمتي » .
٥٥ ـ شرح المفصل ٣ / ٥٨ ومابعدها .
٥٦ ـ بيتان من السريع ، وهما في الانصاف ٥٠٧ ، ٧٦٣ ـ شرح ابن يعيش ٥ / ١٠١ برواية « في الدار » ، وهو ـ عندي ـ أقوم ، لأن شأن المرأة الدار ، لا الحرب ، وسيرد كذلك . كان عليه ان يقول « ذات غربة » ، أي : امرأة ذات غربة ، لكنه اجراه على المعنى ، فقصد الى انسان او شخص ذي غربة ، لأن هذين اللفظين يجريان على المرأة . ونسبا في معجم الشواهد الاعرابية ، وربما كانا لرجل يعبر عن حالها .
٥٧ ـ بيت من الطويل مجهول القائل . ويروى « سألتني طلاقك » . أورده المصنف للاستدلال على أن « صديق » على تأويل : أنت انسان صديق ، أو شبه فعيلا ، بمعنى فاعل بفعيل بمعنى مفعول . يصف نفسه بالجود حتى لو سأله الحبيب الفراق لأجابه ، وخص الرخاء بالذكر لأن الإنسان ربما يفارق أحبابه في الشدة . والخطاب لزوج الشاعر . الانصاف ٢٠٥ ـ ابن يعيش ٧ / ٧١ ، ٧٣ ـ اللسان (صدق) .
٥٨ ـ ش : قالوا . ٥٩ ـ ليست في الأصل .
٦٠ ـ انظر الكتاب ٣ / ٣٨٣ « باب مايكون مذكراً يوصف به المؤنث .
٦١ ـ هو ذو الرمة غيلان بن عقبة .
٦٢ ـ في الأصل وفي ش : رياح ، وهو تحريف .
٦٣ ـ بيت من الطويل . استشهد به على اكتساب المضاف « مر » التأنيث من المضاف اليه « الرياح » ، فأنث الفعل « تسفه » . يصف نساء فيقول : إذا مشين اهتززن في مشيهن ، فكأنهن رماح منصوبة ، مرت عليها الرياح فاهتزت وتثنت . تسفهت : استخفت . النواسم : جمع ناسمة بمعنى الضعيفة .
انظر الكتاب ١ / ٥٢ ، ٦٥ ـ المقتضب ٤ / ١٩٧ ـ اللسان (سفه) .
٦٤ ـ بيت من الكامل لم أعثر على قائله . استشهد به المصنف على أن المضاف « بغى » قد اكتسب التأنيث من المضاف إليه « النفوس » بدليل الإخبار عنه بقوله « معيدة » المؤنث . وهو في الأصل وفي ش « نعماؤها » بالرفع ، والصواب النصب ، لأنه مفعول لاسم الفاعل « معيدة » .
٦٥ ـ ش : فيه . ٦٦ ـ الشعراء / ٤ .
٦٧ ـ علل صاحب إملاء مامن به الرحمن لجمع المذكر بأربعة أوجه ٢ / ١٦٦ .
٦٨ ـ ليست في الأصل . ٦٩ ـ مريم / ٢٠ .
٧٠ ـ اجتمعت الواو والياء في كلمة ، وسبقت إحداهما بالسكون ، فقلبت الواو ياء ثم ادغمت في الياء ، فأصبحت « بغي » ـ بضم الغين ـ ثم جعلت الضمة كسرة لتناسب الياء .
٧١ ـ ش : وذلك لأن القائل حمل . . . .
٧٢ ـ ش : قريب . ٧٣ ـ سبق ذكره .
٧٤ ـ الخصائص ٣ / ١٧٢ ـ شرح شواهد الشافية ٤/٦٤ ـ الأشموني ٢ / ٢٣٧ .
٧٥ ـ الأنبياء / ٧٣ بالفتح ـ والنور / ٣٧ بكسر الميم .
٧٦ ـ هو الفضل بن العباس بن عتبة بن أبي لهب .
٧٧ ـ بيت من البسيط ، وهو في الأصل وفي ش : « أجد البين . . . . » . الخليط : المخالط ، وهو واحد وجمع . أجده : صيره جديداً ، أو أحدثه . انجردوا : بعدوا الشاهد فيه : إسقاط الهاء عند إضافتها لأمن اللبس ، والأصل : عدة الأمر . وهذا رأي الفراء ، فيكتب عنده (عد الأمر) بدون ألف . على حين أنه يكتب عند الأصمعي « عدا » بالألف ، لأنه جمع « عدة » على القلب . وذهب خالد بن

كلثوم أنه « عدى الأمر » جمع عدوة في معنى الناحية . والعدى : النواحي . انظر الخصائص ٢/١٧١ ، ١٧٢ .

٧٨ - التوبة / ٤٦ - قرأ بها محمد بن عبدالملك - روح المعاني للآلوسي ١١١/١٠ - البحر المحيط ٤٨/٥ - المحتسب ٢٩٢/١ .

٧٩ - بكته : قرعه وعنفه ووبخه ، أو ضربه بالسيف والعصا ونحوهما - اللسان والمعجم الوسيط (بكت) .

٨٠ - انظر المحكم والمحيط الأعظم في اللغة ١ / ٩٠ (قطع) ، والعبارة فيه : وقطعة قطْعاً ، وأقطعه ؛ بكّته ، وهو قطيع القول .

٨١ - إذا كانت « قطيع » من قطع المبني للمفعول فهي بمعنى مفعول ، وإذا كانت من قَطَعَ المبني للفاعل فهي بمعنى فاعل ، حتى لايكون في عبارة المؤلف زيادة .

٨٢ - في ش : إمعان .

٨٣ - الأصل : لك . وقد سبقت الاشارة الى البيت .

٨٤ - في الأصل : أتنفك ، سبقت الاشارة الى البيت .

٨٥ - ش : جمعاً . ٨٦ - ش : فاقه . ٨٧ - ش : فاقه .

٨٨ - ليست في الأصل . ٨٩ - ش : مستويان .

٩٠ - دعاو : جمع دعوى ، وهي اسم مايُدّعى . وتجمع أيضاً على دعاوى . وقد تكون دعاو جمعاً لداعية ، أي السبب ، فيقال : هو داعية إلى كذا . المعجم الوسيط (دعا) .

٩١ - ش : جار لمن لاله ، وهو تحريف . ٩٢ - ش : إنا لم نسأل .

٩٣ - ش : فعيل وفعول . ٩٤ - قَرِمَ الى اللحم يَقْرَمُ : اشتهاه بشدة .

٩٥ - في الأصل : يشتق .

٩٦ - هذمت السكين اللحم تهذمه - بالكسر - قطعته بسرعة . وقد تكون « هزيم » من هَزَمَ يهزِم .

٩٧ - ش : جنوب .

٩٨ - أي مات وذهب . ويقال لها أيضاً : سالب - اللسان (سلب) .

٩٩ - ش : وكذا . ١٠٠ - الجزور : الناقة المجزورة ، أي المنحورة .

١٠١ - الحلوج : في اللسان (حلج) : حلج في سيره : باعد بين خطاه . والحلْج : الحركة والاضطراب .

١٠٢ - البسوس : الناقة التي لاتدر الا بالإبساس ، وهو أن يقال لها : بسْ بسْ . فقه اللغة للثعالبي ١٥٩ .

١٠٣ - في الأصل : الحصون . اللسان (حصف) : حصف الشي : استحكم واشتد .

١٠٤ - السطور : اللسان (سطر) : السَّطر : العتود من المَعَز . وفي المعجم الوسيط (عتد) : العتود من أولاد المعزى ؛ ماقوى وأتى عليه حول .

١٠٥ - الثلوب : اللسان (ثلب) : بعير ثِلْب - بكسر أوله - إذا لم يلقح ، والجمل الذي انكسرت أنيابه من الهرم .

١٠٦ - ش : خالداً . وخالدة هي زوجته .

١٠٧ - ش الكامل في ديوانه ص / ١٥٤ . علق مضنة : النفيس الذي يبخل به . وارى : ستر . النَّعْف : أسفل الجبل وأعلى الوادي : بلية .

١٠٨ - كلمة يقتضيها السياق .

١٠٩ - ش الكامل . في الديوان ٢٦٨ - هزج الرواح : الغيم ذو الرعد . الديمة : المطر اللين يمطر ساعة ويقلع اخرى .

١١٠ - انظر ديوانه ٢ / ٢٥ . في الأصل وش : وأرشف . من البحر الطويل .

١١١ - القبين : المنكمش في أموره - تسريح المرأة : تطليقها - رجل هريت : لايكتم سراً ويتكلم بما هو مستقبح - الفروك : المبغضة لزوجها - الملوك : إما من الملك أو إجادة العجن - الرشوف . طيبة الفم ، وريق رشوف : طيب - الأنوف : المرأة الطيبة رائحة الأنف خلقة ، والرجل الشديد الأنفة . وفي اللسان (رصف) : الرصوف : الصغيرة الفرج . والرشوف : اليابسة المكان ، والرصوف : الضيقة المكان . الملولة : الملول ، وهو السريع الملل - الفروقة : الشديدة الفزع - عروب : متحببة الى زوجها - فقه اللغة ١٤٩ - سحابة دلوج : لعلها سحابة الليل من الدُّلجة . وفي ش : ولوج .

١١٢ - من البسيط في ديوانه ٣٠٨ « أمسوا رماداً » .

١١٣ - ممن دفع هذا القول ابن قيم الجوزية . انظر بدائع الفوائد ٢٢/٣ - ابن قيم الجوزية - جهوده في الدرس اللغوي ص / ٩٠ .

١١٤ - يوسف / ٨٢ . ١١٥ - ش : الوجه .

١١٦ - ليست في الأصل .

١١٧ - أي : رجع الى ماكان فيه من الكلام بعد أن قطعه بكلام الشيخ علاء الدين .

١١٨ - في ش : ولا اشمال . ١١٩ - ش : المستهتر .

١٢٠ - في الأصل : فيه . ١٢١ - ش : المنهى .

١٢٢ - أجاز ذلك سيبويه والبصريون في الضرورة ، على حين أجازها الكوفيون في السعة والاختيار ، وعلى هذا يكون قوله على إطلاقه مخالفاً لما ورد عنهم وغير دقيق . انظر : الكتاب ١ / ١٩٩ - شرح كافية ابن الحاجب / ٩٦ له إذ صرح أن أكثر الناس على إجازتها - شرح الكافية للرضي ٢ / ٢٠٧ ، ٢٠٨ .

١٢٣ - في الأصل : يكتسى .

١٢٤ - اسمه زياد بن معاوية ، وكنيته أبو أمامة . لقب بالنابغة لنبوغه في الشعر وإكثاره منه .

١٢٥ - البيت في ديوانه ص / ١٤ على الوجه التالي :

حتى استغاثت بأهل الملح ، ماطَعِمَتْ

في منزل ، طعمَ نومٍ غيرَ تأويب

الملح : ماء لبني فزارة ملح . التأويب : سير النهار . المعنى : استغاثت الخيل بأهل الملح ، وشكت أنها لم تطعم في منازلها غير السير والتعب بدل النوم والراحة .

١٢٦ ـ عجز بيت من الطويل ، وصدره : وتشرق بالقول الذي قد أذعته .
انظر ديوانه ٩٤ ـ سيبويه ١ / ٥٢ ـ المقتضب ٤ / ١٩٧ ـ المعنى : سيعود عليك مكروه ماأذعت عنى من القول .
الشاهد فيه : اكتساب المضاف (صدر) من المضاف اليه (القناة) التأنيث في (شرقت) .

١٢٧ ـ البيت من الكامل . انظر الخصائص ١/ ٧٠ ، ٢/٤١٥ ـ الانصاف ٧٧٢ ـ التجريد : الانهزام الحديث عن حمار الوحش يتبع أتانا تحاول الفرار منه ، فيذكر أن الحمار جعلها أمامه كيلا تهرب ، وكذلك شأنه .
الشاهد في قوله : « وكانت عادة إقدامها » حيث أنث الإقدام لما كان في معنى التقدمة .

١٢٨ ـ ليست في ش .

١٢٩ ـ ديوانه / ٢٧٠ ـ البيت من الكامل . وهو في سيبويه ١ / ٥٢ ـ المقتضب ٤ / ١٩٧ ـ الخصائص ٢ / ٤١٨ ـ استشهد به سيبويه على اكتساب المضاف التأنيث من المضاف إليه .

١٣٠ ـ ش : المؤكد . ١٣١ ـ ش : تمسكه . ١٣٢ ـ الشعراء / ٤ .

١٣٣ ـ يعني على حذف مضاف ، والأصل : أصحاب الأعناق .

١٣٤ ـ يشير الى قوله : فتور ، قطيع ، قريب ، في أول البحث .

١٣٥ ـ سبق الحديث فيه .

١٣٦ ـ ش : تسقط ، كقوله تعالى : « وإقام الصلاة » ـ الأنبياء / ٧٣ .

١٣٧ ـ ش : ابني . ١٣٨ ـ ش : يقول . ١٣٩ ـ المائدة / ٣٢ .

١٤٠ ـ من أبيات سيبويه المجهولة القائل ، وتتمته : وأنت بخيلة بالود عني . الكتاب ٢ / ١٩٧ ـ الإنصاف ٣٣٦ ـ البيت من البحر الوافر .

١٤١ ـ ساقطة من الأصل .

١٤٢ ـ أورده دليلاً على صحة استعمال « من أجل » وعطفاً « لأجل » .

١٤٣ ـ ش : فإن . ١٤٤ ـ الأصل : لايعدي .

١٤٥ ـ من الوافر في ديوانه / ٤٧٢ ـ أورده ليبرهن على مجيء « إلى » مع « قصد » لا « الباء » ، ولاأرى ضيراً ، قولنا : « قصد بالتاء المبالغة » لأنها ههنا للاستعانة .

١٤٦ ـ دلل به على مجيء « اللام » مع « قصد » .

١٤٧ ـ أي : بالثاء . والرغوث : المرضعة ، ويطلق على ولدها . وقد ورد في اللسان : « وشاة رغوث ورغوثة : مرضع .

١٤٨ ـ البيت من الطويل ـ استشهد به على استعمال « رغوث » بلا تاء .

١٤٩ ـ ش : قال رحمه الله تعالى . ١٥٠ ـ ليست في ش .

١٥١ ـ الأصل : كيف . ١٥٢ ـ ش : تفسير . ١٥٣ ـ ليست في الأصل .

١٥٤ ـ ش : والقرب قد يزيد . ١٥٥ ـ الأصل / ١ ١٥٦ ـ ليست في الأصل .

١٥٧ ـ الأصل : عما لايليق إلا بها . ١٥٨ ـ سبق ذكره .

١٥٩ ـ ليست في ش . ١٦٠ ـ سبق ذكره . ١٦١ ـ ليست في ش .

١٦٢ ـ سبقت الاشارة اليها . ١٦٣ ـ ش : فلك . ١٦٤ ـ سبق ذكره .

١٦٥ ـ يوسف / ١٠ ـ قرأ الحسن ـ تفسير الفخر ١٨ / ٩٦ . ١٦٦ ـ من ش .

١٦٧ ـ من البسيط لأحد المولدين ، وعجزه : وعقل عاصي الهوى يزداد تنويراً انظر مغني اللبيب ٦٦٥ ـ الأشموني ٢/٢٤٨ .

١٦٨ ـ إملاء مامن به الرحمن ١ / ٢٧٦ .

١٦٩ ـ يس / ٧٨ . ١٧٠ ـ الأعراف / ٥٦ .

١٧١ ـ الشعراء / ٤ . ١٧٢ ـ انظر المقتضب ٤ / ١٩٩ .

١٧٣ ـ ش : وإنه . ١٧٤ ـ املاء مامن الرحمن ١ / ١١٦ .

١٧٥ ـ ش : القائل . ١٧٦ ـ ش : يقول . ١٧٧ ـ سبق الكلام فيه .

١٧٨ ـ كقولهم : جمّال ، ولابن ، وتمر . انظر شرح الرضي للشافية ٨٤ ـ ٨٩ .

١٧٩ ـ انظر شرح الألفية لابن الناظم ٤٤٢ ، ٤٤٣ .

١٨٠ ـ هو أبو عثمان بكر بن محمد ، ولد بالبصرة . له كتاب في علل النحو وكتاب في التصريف ، توفي سنة ٢٤٩ هـ .

١٨١ ـ مريم / ٢٨ .

١٨٢ ـ سبقت الاشارة اليه . ١٨٣ ـ النور / ٣٧ .

١٨٤ ـ انظر إملاء مامن به الرحمن ٢ / ١٣٥ .

١٨٥ ـ لم اعرف قائله . ١٨٦ ـ سبق ذكره .

١٨٧ ـ النحل / ١٢٥ . ١٨٨ ـ ليست في الأصل .

١٨٩ ـ اللسان (قرب) . ١٩٠ ـ الأعراف / ٥٧ . ١٩١ ـ ليست في الأصل .

١٩٢ ـ جمع فرد ، وهو الذي لانظير له ـ اللسان ـ فرد وربما قصد كبار العلماء .

١٩٣ ـ الزخرف / ٣٢ . ١٩٤ ـ البقرة / ١٠٥ .

١٩٥ ـ ليست في الأصل . ١٩٦ ـ ليست في ش .

١٩٧ ـ ش : فإني أجد في كلام كثير من المفسرين .

١٩٨ ـ النساء / ٨ . ١٩٩ ـ النساء / ٨ .

٢٠٠ ـ ليست في الأصل . ٢٠١ ـ النساء / ٧ .

٢٠٢ ـ القصر / ٢٨ .

ظهر الورقة الأولى

تحفة الطالبين في إعراب قوله تعالى
إن رحمة الله قريب من المحسنين
تأليف العلامة الشمس محمد بن علي
ابن طولون الصالحي الدمشقي
الحنفي رحمه الله تعالى
آمين

وجه الورقة الأولى

المراجـــع

- املاء مامن به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن للعكبري ـ دار الكتب العلمية ـ الطبعة الأولى ـ بيروت ١٣٩٦ هـ ـ ١٩٧٩ م .
- أنباه الرواة على أنباه النحاة للقفطي ـ دار الكتب المصرية ١٩٥٠ .
- الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري ـ تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد ـ دار الباز ـ مكة المكرمة ، ١٣٨٠ ـ ١٩٦١ .
- التفسير الكبير للفخر الرازي ـ الطبعة الثالثة ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
- تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ـ الطبعة الرابعة ـ مطبعة حجازي ـ القاهرة ١٣٧٩ ـ ١٩٥٩ .
- الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ـ دار الكتاب العربي ـ القاهرة ١٣٨٧ ـ ١٩٦٧ .
- الخصائص لابن جني ـ تحقيق محمد علي النجار ـ الطبعة الثانية ـ دار الهدى بيروت ١٣٧٢ ـ ١٩٥٢ .
- ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس ـ شرح محمد محمد حسين ـ دار النهضة العربية ـ بيروت ١٩٧٤ .
- ديوان جرير ـ شرح كرم البستاني ـ دار صادر ودار بيروت ـ بيروت ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤ .
- ديوان حسان بن ثابت .
- ديوان ذي الرمة .
- ديوان الفرزدق ـ دار صادر ودار بيروت ـ بيروت ١٣٨٠ ـ ١٩٦٠ .
- ديوان امرىء القيس تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم ـ الطبعة الثالثة ـ دار المعارف بمصر ـ ١٣٨٤ ـ ١٩٦٤ .
- ديوان النابغة ـ تحقيق وشرح كرم البستاني ـ دار صادر ودار بيروت ـ بيروت ١٣٨٣ ـ ١٩٦٣ .
- روح المعاني للألوسي ـ دار إحياء التراث العربي ـ بيروت .
- شذرات الذهب لابن عماد الحنبلي ـ المكتب التجاري ودار الآفاق الجديدة ـ بيروت .
- شرح الأشموني على ألفية ابن مالك ـ دار إحياء الكتب العربية ـ القاهرة .
- شرح الألفية لابن الناظم ـ تحقيق عبدالحميد السيد محمد ـ دار الجيل ـ بيروت .
- شرح ابن عقيل ـ الطبعة الرابعة عشرة ١٣٨٥ ـ ١٩٦٥ والطبعة السابعة عشرة ١٣٩٨ ـ ١٩٧٨ .
- شرح ديوان جرير ـ محمد الصاوي ـ مكتبة الحياة ـ بيروت .
- شرح ديوان جميل بثينة لابراهيم جزيني ـ دار الكتاب العربي ـ لبنان .
- شرح رياض الصالحين ـ تحقيق محي الدين الجراح ـ مناهل العرفان ـ بيروت .
- شرح شافية ابن الحاجب وشواهدها ـ تحقيق محمد الزفزاف وزميليه ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت ١٣٩٥ ـ ١٩٧٥ .
- شرح الكافية للرضي ـ دار الكتب العلمية ـ بيروت .
- شرح الكافية للمؤلف ـ دار الطباعة العامرة ١٣١١ هـ .
- شرح المفصل لابن يعيش ـ عالم الكتب ـ بيروت ومكتبة المتنبي ـ القاهرة .
- الصحاح في اللغة والعلوم للجوهري ـ تصنيف نديم وأسامة مرعشلي ـ دار الحضارة العربية ـ بيروت .
- فقه اللغة للثعالبي ـ الدار العربية للكتاب ـ ليبيا ـ تونس ١٩٨١ .
- الكامل في اللغة والأدب للمبرد ـ لجنة من المحققين ـ مؤسسة المعارف ـ بيروت .
- الكتاب لسيبويه ـ تحقيق عبدالسلام هارون ـ القاهرة .
- لسان العرب لابن منظور .
- المحكم والمحيط الأعظم في اللغة لابن سيدة ـ تحقيق مصطفى السقا وحسين نصار ـ الطبعة الأولى ـ مطبعة الحلبي ـ مصر ١٣٧٧ ـ ١٩٥٨ .
- المسائل السفرية لابن هشام ـ تحقيق على حسين البواب ـ المطبعة الوطنية ـ الرياض .
- معجم الأعلام ـ دار العلم للملايين ـ الطبعة الخامسة ـ بيروت ١٩٨٠ .
- معجم شواهد العربية لعبد السلام هارون ـ الطبعة الأولى ـ مكتبة الخانجي ـ مصر ١٣٩٢ ـ ١٩٧٢ .
- مغني اللبيب لابن هشام ـ تحقيق مازن المبارك وزميله ـ الطبعة الخامسة ـ دار الفكر ـ بيروت ١٩٧٩ .
- المفصل للزمخشري ـ شرح محمد بدرالدين النعساني ـ الطبعة الثانية ـ دار الجيل ـ بيروت ١٣٢٣ .
- المقتضب للمبرد ـ تحقيق محمد عبدالخالق عضيمة ـ لجنة إحياء التراث الاسلامي ـ القاهرة ١٣٨٨ .
- وفيات الأعيان لابن خلكان ـ تحقيق إحسان عباس ـ دار صادر ـ بيروت .

المحتــوى

البحوث والدراسات :

النصوص المحققــة :

الفهارس والبيلوغرافيات :

العرض والنقد والتعريف :